غزوة الطائف

وفي شهر شوال من سنة ثمان للهجرة، أخذت فلول ثقيف المهزومة من حنين، طريقها إلى الطائف، فأغلقوا عليهم أبوابها، وتحصنوا فيها بعد أن تزودوا بالسلاح والزاد، تحسباً لأي هجوم مفاجىء من قبل المسلمين.

ثم مضى رسول الله ﷺ يريد الطائف، وأقام معسكره قريباً منها، وقتل عدد من أصحابه لأن المعسكر كان في مرمى عدوهم، ولم يكن بوسع المسلمين دخول حائط الطائف لأن مَنْ بداخله أغلقوه دونهم، ليمنعوهم من الوصول إليهم، لذا، عمد رسول الله ﷺ إلى فرض حصار عليهم، واستمر الحصار بضعاً وعشرين ليلة ـ عند ابن إسحاق، وسبع عشرة ليلة ـ عند ابن هشام[1]، وناداهم «خالد بن الوليد» للمبارزة فردَّ عليه «عبد ياليل» من الحصن: لا ينزل إليك منا أحد، ولكن نقيم في حصننا، فإن به من الطعام ما يكفينا سنتين، فإن أقمت حتى يذهب هذا الطعام، خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً، ولم يجد التراشق بالنبل، فأمر رسول الله ﷺ بنصب المنجنيق، فكان أول من رَمَى به في الإسلام، ثم أمر بقطع أعناب ثقيف، فأقبل الناس يقطعونها، ثم نادى منادي رسول الله من في الحصن، فقال: (من خرج إلينا من العبيد فهو حر) فاقتحم سور الحصن نفر منهم، وتدلَّى «نفيع بن الحارث» من السور ببكرة، فسمي بعد «أبا بكرة»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ودفع كل واحد إلى رجل من المسلمين يعوله، ولما أتى أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ مسلمين، وطلبوا أن يرد عليهم عبيدهم، قال لهم: (لا،

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/١٣٤).

أولئك عتقاء الله).

وجاء في سيرة ابن هشام[١]: [وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر، وهو محاصر ثقيفاً: (يا أبا بكر، إني رأيت أني أهديت لي قعبة[٢] مملوءة زبداً، فنقرها ديك، فهراق ما فيها) فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: (وأنا لا أرى ذلك). ثم أمر (عمر بن الخطاب) أن يؤذن بالرحيل. وقال بعضهم: يا رسول الله! ادعُ على ثقيف، فقال: (اللهمَّ اهدهم واكفنا مئونتهم، اللهمَّ اهد ثقيفاً وائت بهم)، وكذلك فعل حين سأله (الطفيل بن عمرو الدوسي) أن يدعو على قومه، قبيلة دَوْسٍ، فقال (اللَّهم اهد دوساً، اللهم اهد دوساً، اللهم اهد دوساً) فأتوه مسلمين، دَوْسٌ وثقيف.

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف حتى نزل الجِعْرانة. فيمن معه من الناس وبصحبته سبي كثير أصابه من هوازن.

ولما جاءه وفد هوازن مسلمين رد عليهم سبيهم، ووزع ما بقي على من ليسوا من الأنصار، فوجدوا في أنفسهم، فلما بلغه أنهم وجدوا من قسمته جمعهم، ثم قام فيهم خطيباً، وقال: (أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار! في لُعَاعة[٣] من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، يا معشر الأنصار! لو سلك الناس وادياً وشِعباً لسلكت وادي الأنصار وشِعبها).

فبكى القوم، وقالوا: رضينا بالله رباً، وبرسوله قَسْماً، رضينا برسول الله قَسْماً وحظًّا.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/١٣٦).
(٢) قَعْبَة: قدح.
(٣) لُعَاعَة: قليل.

وكان رسول الله ﷺ في العطاء أجود من الريح المرسلة، فقد أعطى بعض الرجال من قريش يتألفهم مائة بعير لكل رجل، إنه عطاء من لا يخشى الفاقة.